شاهد على زمن الكورونا في المجتمع المحلي
يوميات مثقف

د.عبد القادر حميدة
زيان عاشور بالجلفة

الملخص: تحاول هذه المقالة رصد يوميات جائحة كورونا، من وجهة نظر "التأمل السوسيولوجي" كما هو عند "ألفن غولدنر" (1920-1980) Alvin W Gouldner، متجاوزة ربما ظاهر الحدث في بعض الأحيان، إلى محاولة تلمّس غوره، ربّما هي سوسيولوجيا هكذا، وربما هي فلسفيا وفق مقاربة "غابرييل مارسيل" الموسومة بالتفكر الأولى Réflexion primaire والتفكّر الثانوي Réflexion secondaire، إنها فلسفة العيش والمعايشة اليومية للوباء، التي تبدأ طبعا من تدوين اللحظات التي تبدو بسيطة وسطحية وساذجة.

الكلمات المفتاحية: الحجر الصحي – الكورونا – التمثلات- اليوميات.

Abstract: This article attempts to follow the daily life of the Corona pandemic, from the point of view of "sociological reflection" according to "Alvin W Gouldner" (1920-1980), perhaps sometimes bypassing the apparent occurrence, to try to grasp the essential, can - is it sociological like that, and perhaps it is philosophical according to the approach of "Gabriel Marcel" Marked by Primary reflection and Secondary reflection, it is the philosophy of everyday life and of living with the epidemic , which of course begins with recording moments that seem simple, superficial and naive.

Key words: quarantine - Corona - representations - diaries.

1- بمثابة تقديم:

يكتسي التوثيق أهمية كبرى في البحث العلمي، وتعدّ الشهادات واليوميات والرحلات والمشاهدات من أهم الوثائق، التي تمكننا من فهم ظاهرة ما، أو مجتمع ما، ولأن الكوفيد 19، ظاهرة عالمية أربكت السير العادي للحياة اليومية، بل نكاد القول بأنها أصابتها بالشلل، فقد قامت الحاجة الماسّة إلى معرفة كيف عاش الناس هذه الجائحة، كيف تمثّلوها، كيف كانت يومياتهم داخل بيوتهم خلال الحجر الصحي الطويل، هذه الاستفهامات وغيرها، أدت إلى ضرورة "تفتيش كل مكتوب" خلال هذه الفترة، ومحاولة رصد النصوص التي تكون قد أطّلت على هذا الواقع الاستثنائي، من هذه الزاوية أو تلك، ولذا فإن هذه الأيام التي وثقناها خلال تلك الفترة، تعكس بعضا من التمثلات، وتحاول مساعدتنا على الظفر ببعض الأجوبة.

2- يوميات الكوفيد 19: (تسعة عشر يوما):

الاثنين 23 مارس 2020: استيقظت حوالي الحادية عشر صباحا، تناولت فطوري، الذي كان عبارة عن قهوة مرة وقليل من الحنطة، لم تكن رؤاي ليلة أمس واضحة، مقاطع من هنا وهناك سرعان ما نسيتها، وشرعت في إكمال مقطع من روايتي الجديدة "فيلا زارين"، وهو الخاص بقائمة الكتب التي عثر عليها محمود في مخزن الفيلا. جاءت أمي بالغداء وحدّثتني أن الناس غير ملتزمين بالحجر الصحي، الناس في حيي البرج والضاية ما يزالون يتجمعون هنا وهناك، وتبدو الحياة وكأنها عادية، وكأنهم لا يأخذون تحذيرات الحكومة مأخذا جديا، بائع البرتقال ما تزال عربته أمام بيتنا، تجمع الناس حولها، هو رجل خمسيني يعيل ثلاث عائلات، ربما الحجر بالنسبة إليه يعني عجزه عن إطعام هذه العائلات، فمعيشته يوم بيوم، "لست موظفا" هكذا كان يرد على بعض من يحتج عليه.

بعد تناول وجبة الغداء، تصفحت صفحاتي على "الفيس بوك"، وتتبعت يوميات "الكورونا"، يقولون أن أحدهم نصح بعلاج، وهو فرنسي يسمى "ديديي راو"، وصف كدواء له "هيدروكسين كلوروكين"، وشاهدت عرّافة لبنانية هي "ليلى عبد اللطيف" كانت في بداية العام قد تنبأت بهذا الفيروس، وها هي تتنبأ بفيروس آخر، سيحل قريبا على إفريقيا وسيكون أقل فتكا، وأن شمال إفريقيا سيعرف زلزالا كبيرا.

تناولت غدائي وأنا أشاهد على "اليوتيب" الأستاذ "طلال أبو غزالة"، يهدّد العالم بكارثة اقتصادية قادمة، داعيا إلى أخذ دروس من "الكورونا"، وأن العالم بات بحاجة إلى باحثين ومفكرين كي ينقذوا العالم من الانهيار، متحدثا عن مصطلح "انهيار الحضارات"، الذي هو الواقع الآن، فلم يعد هناك حديث عن "صدام الحضارات" ولا "حوار الحضارات" ولا "نهاية التاريخ"، ثم ها هو يبشر بالغلاء، ويقول بأن كل هذا الضغط، ما هو إلا لكي تجلس أمريكا مع الصين على طاولة واحدة للاتفاق على النظام العالمي الجديد، النظام الذي سيستيقظ عليه العالم بعد أزمة "الكورونا".

وكنت ليلة أمس قد شاهدت بعض الفيديوهات التي تتحدث عن العرافة البلغارية "بابا فانغا"، التي من بين تنبؤاتها إصابة الرئيسي الأمريكي بورم في رأسه، وأنه سيموت جرّاءه، تذكرت لحظتها أنه منذ يومين أغمي على الرئيس "ترامب" مباشرة أمام شاشات العالم، كما تنبأت باغتيال الرئيس الروسي "بوتين" داخل الكرملين.

انخرطت بعدها في قراءة جزء من رواية أمبرتو إيكو "اسم الوردة" التي أقرؤها هذه الأيام، رفقة رواية "خضوع" لميشال ويلبيك، وهي رواية استشراف أثارت جدلا كبيرا في فرنسا، ولما هممت بالاتكاء قليلا رن هاتفي إنه صديقي إبراهيم يود اللقاء بي في موعدنا اليومي المعتاد. إبراهيم غير مؤمن بجدية الوباء ويرى أنه مخطط عالمي هوليودي، لكنه في نفس الوقت لا يؤمن بنظرية المؤامرة وسبق أن تناقشنا بخصوص الروائي الفرنسي "موريس جولي" صاحب كتاب "حوار في الجحيم بين مونتيسكيو وميكيافيللي".

الثلاثاء 24 مارس 2020: كل واحد منا له روايته للحياة، اختلافنا معه ضروري ومنطقي، وخلافنا معه لا مبرر له، لأنه محض عنف.

الأربعاء 25 مارس 2020: اليوم هو الأربعاء، يوم العطلة الذي اختارته أمي منذ زمن بعيد، كي ترتاح فيه، لاعتقادها أنه لا يجب العمل في هذا اليوم، "إنه يوم موت الصالحين" قالت لي، حينها تذكرت أن الأولياء عبد الرحمن النعاس بن سليمان (ت 1905)، وعبد الرحمن النعاس بورقبة (ت 1993)، والشيخ عطية بقة (ت 2008)، وسي عطية مسعودي (ت 1989)، وجدي أبو بكر بن أحمد الأبيض (ت 2001)، وجدي لأمي سي محمد بن الطاهر (ت 1983)، والشيخ لخضر بن الطاهر (ت 2017)، كلّهم توفوا يوم الأربعاء، ولأنه يوم عطلة والدتي فقد حملت لي أختي قهوة الفطور مع خبزتي مسمن، تناولت فطوري وأنا أرسل محاضرتين في السيميولوجيا لطلبتي عبر منصة "مودل"، التي اقتضت ضرورة الحجر الصحي استعمالها، إنها منصة مفيدة وعملية، غير أنها لا تغني بشكل من الأشكال عن الشرح المباشر والأسئلة المباشرة وتداعيات الأفكار، لا يمكن للآلة أن تعوّض الإنسان، ولا يمكن لغرور العقل إلا أن يرتدّ إلى الحضيض – هكذا خمنت وأنا أضغط على زر الإرسال- وكنت قبل ذلك قد شغّلت محاضرة على "اليوتيب" بالفرنسية عن "السلطة والمعرفة" عند ميشال فوكو.

يظهر لي أن هذا اليوم مزاجه جيد، عكس يوم أمس الذي لم أستطع الكتابة فيه، كذلك ها أنا أعثر على مقال لـ"نعوم شومسكي" عن "الكورونا" تحت عنوان "إعادة البناء عبر التدمير".

أطروحة "فوكو" حول السـلطة، وأطروحة "بيير بورديو" حول الهيمنة والعنف الرمزي، تعودان من جديد، إن السـلطات عن طريق التخويف تعيد إنتاج هيمنتها على مواطنيها، بعد أن أدركوا أن الديمقراطية تسـير نحو تقويض أنواعها الأكثر صـلابة. إن هذا التقويض يبشـر بنهاية نظام عالمي وبميلاد نظام جديد يقوم على أسـاس إعادة إنتاج مفهوم "السـلطة" بالمعنى الماركسـي، و"ترامب ذو الميول الروسـية" طرف في اللعبة التي أدركها النظام الأمريكي متأخرا، فقام بإجراءات عزل الرئيس في وقت متأخر جدا جدا.

السـلطة تسـتعيد مفهومها الأكثر صـلابة وهو التسـلط، بحيث تقوم بربط جميع المواطنين بها عن طريق تخويفهم في صـحتهم واقتصـادهم، وعن طريق رسـم الأمل الجديد في صـرامة إتباع توصـياتها والتصـفيق لإجراءاتها، لأن الوضـع الراهن صـعب، ولا يتم تجاوزه إلا باتحاد الجميع، وبذلك يصـبح النظام الصـيني هو المثل، وتصبح الشمولية إيجابية، وهي ستكون الصورة الجديدة للعالم الجديد بتعديلات طفيفة طبعا.

السـبت 28 مارس 2020: حدثتني أمي اليوم عن مسـتجدات فيروس "الكورونا"، وكيف أنه يتصـاعد في تونس، قالت لي ما مفاده أن الجزائر تتحكم في الوضع، بينما بدأ ينفلت في تونس، لم أكن أعرف شيئا، سوى توقع زيادة الحالات، أمس تركتها 405 حالة، واليوم لا أدري كم صار العدد.

اليوم كتب مقتدى الصدر في حسابه على "تويتر" حسبما ذكر التلفزيون العربي الروسي "آر تي" كتب تحت عنوان (رسالة السماء الثانية): "إن من أفدح الأمور التي تسببت بانتشار هذا الوباء هو تقنين أزواج المثليين"، مضـيفا: "من هنا أدعو كل الحكومات إلى إلغاء هذا القانون فورا وبلا توان، فلعلّه سـيكون بمثابة الندم على الذنب. وإلا فلات حين مندم".

للمرة الثانية يذكر الرئيس الأمريكي "ترامب" في تدخلاته الإعلامية موعد "عيد الفصـح"، اليوم قال: "أتمنى أن نهزم الفيروس بحلول عيد الفصح، أعتقد أن ذلك سيكون أمرا عظيما لبلادنا".

الأحد 29 مارس 2020: أتت أمي حاملة الفطور فاستيقظت، قبّلت رأسها، ثم غسلت وجهي، في حين كانت هي تشـاهد الناس في الشـارع من خلال النافذة، وتؤنب بتمتمة غامضـة أولئك الذين يريدون جلب البلاء للآخرين بعدم التزامهم بالحجر الصحي والمكوث في بيوتهم، شاطرتها الرأي وأنا أفتح جهاز الكومبيوتر لأكمل مقالي عن "الخونية عرعارة".

اليوم سـمعنا عن نظرية جديدة خرجت من مدينة هامبورغ الألمانية، مفادها أنه طالما حالات العدوى في ارتفاع حتى في ظل الحجر الصحي، حيث تجاوزت عندهم هناك 56 ألف إصابة، فمن المفيد جدا أن نسمح تدريجيا للفئات العمرية الأقل سـنّا بالخروج والاحتكاك العادي والطبيعي، رغبة في العدوى التي قد تبني لديهم مناعة ضد هذا الفيروس، لأن هذا الاختباء غير طبيعي، وغير مجد على المدى الطويل.

كما قرأت على "الفيس بوك" تساؤلا، نشره الأستاذ "نبيل فياض" على صفحته، أضحكني كثيرا وعمار صديق له من حمص يصـفه بأنه متابع وقارئ نهم وذكي حتى الجنون وكان السـؤال كالتالي كيف كان الله سـيعذب الناس قبل ان يخترع الإنسان النار.

الاثنين 30 مارس 2020: اليوم أكملت مقالي حول "التمثلات الاجتماعية للجذب بصيغة المؤنث فضاء الخونية عرعارة بمدينة الجلفة –أنموذجا-، وربّما سأشرع في التخطيط لفكرة مقال سكنتني منذ أيام حول "التمثلات الاجتماعية للكوفيد 19، سأركز على الأبعاد الاجتماعية والدينية والسياسية، وسأحاول تدوين مؤشرات كل منها.

أمس ليلا وفي ساعة متأخرة، كنت قد شاهدت فيلما أمريكيا حول محاولة اختطاف فتاة، كنت أفكر في مواصلة تحسين مستواي في اللغة الانجليزية، لكن أمام كل ما جلبته أمريكا للعالم من انحطاط فكري، فقد عاودتني اليوم فكرة العودة لمستواي في اللغة الاسبانية وتحسينه، هذه اللغة في كوبا هي التي تتضامن مع العالم بإرسال بعثات طبية، إلى إيطاليا، إلى المكسيك، إلى البيرو، إلى الشيلي، وفي هاييتي قديما ساعدت في القضاء على الكوليرا وغيرها.. أطباء كوبا في كل أنحاء العالم، حتى في مدينتي الجلفة، حتى في المناطق البعيدة في إفريقيا، وفي الأمازون، الحق في الحياة، والحق في الصحة، حقوق مبدئية بالنسبة لكوبا، الإعلام المعولم لم يتحدث أبدا عن هذه الأبعاد الإنسانية، هناك عمل "المعلومة الضد" المهمشة، في فنزويلا كان شافيز أيضا قد أوصل الطبيب إلى المناطق الهامشية بمساعدة من كوبا.

الأربعاء 01 أفريل 2020: لم يكن هذا الوباء "سمكة أفريل"، بل كان حقيقة مفزعة مرعبة تعكس كل النقائض الإنسانية والطبيعية في تجل درامي، اليوم ذكرى ميلاد الروائي التشيكي الفرانكفوني "ميلان كونديرا"، كنت قد قرأت له رواية "البطء" La lenteur باللغة الفرنسية مرتين، وهي لغتها الأصلية وليست مترجمة، وقرأت له أيضا منذ سنين عديدة "الوصايا المغدورة" باللغة العربية في جزأين ترجمة معن عاقل، وأنا الآن بصدد قراءة روايته الجميلة "الخلود" (1990) L'immortalité باللغة الفرنسية التي ليست لغتها الأصلية فقد كتبها "كونديرا" بالتشيكية. وأنا أتحدث عن "كونديرا" عبرني طيف الروائية "أغوتا كريستوف" التي ترجمت لها منذ سنوات روايتها الصغيرة "امرأة أمية" (2004) L'Analphabète ، والتي ما تزال مخطوطة عندي، وها أنا أسائل نفسي لماذا لم أنشرها لحد الآن؟!.

الخميس 02 أفريل 2020: "لا تحتاج السلطة للتبرير تحتاج إلى المشروعية" كما تقول "حنة أراندت"، على العقل أن يستيقظ ويعلو صوته، قد يكون الدجل عزاء بالنسبة للكثيرين لكنه عزاء مؤقت يسكن الألم قليلا لكنه لا يقضي على مكمن الداء، وحده العقل والنقد من يستطيع ذلك. هكذا استيقظت اليوم بعد خوف طفيف أثناء الليل وأنا أردد هذه الأفكار حنين ما جرفني هذا المساء الى رواية "وكالة عطية" للعم خيري شلبي، فتذكرت أيام أول قراءة لها منذ سنوات، كان زمنا جميلا وكانت شمسه شابة متألقة واعدة، ولكي أعيش عمق هذا الإحساس فقد شرعت اليوم في إعادة قراءتها، والتأمل في جميل عباراتها وأسر عوالمها.

الجمعة 03 أفريل 2020: ليلة أمس نمت متأخرا فقد انشغلت برواية "وكالة عطية"، إذ قرأت منها ما يزيد عن المائة صفحة، وتوقفت عند فصل "شوادفي"، واليوم ما إن استيقظت حوالي الساعة الحادية عشر صباحا حتى قرأت ذلك الفصل متوقفا عند فصل "قطيطة"، ثم قرأت فصلا من "صياد ايسلندا" لبيير لوتي باللغة الفرنسية، جاءت أختي بعدها بالفطور فتوقفت عن القراءة، وانغمست في سماع أخبار اليوم.

الثلاثاء 07 أفريل 2020: ذات المنام المكاني يتكرر بين الفينة والأخرى، نفس التواءات السوق الشبيهة بسوق "حومة السوق" و"صفاقس"، المكتبات الثلاث نفسها، اليوم ذكرى وفاة الشيخ الجميل "النعاس" واسمه الكامل عبد الرحمن النعاس بن إبراهيم بورقبة، ولد عام 1905م وتوفي في مثل هذا اليوم من عام 1993م، لم أكن قد زرته أثناء حياته، لكنني شغفت به ابتداء من 1998 العام الذي عرفت فيه الشيخ عطية، والذي سيرحل هو الآخر عام 2008 ليتركنا على ظمأ المحبة. يقولون أن القمر اليوم سيصير لونه ورديا بعد غروب الشمس بعشر دقائق، ويقولون إنها علامة على انفراج الوباء.

الجمعة 10 أفريل 2020: أنهيت قراءة رواية "صياد إيسلندا"، التي عرفتها شابا عن طريق كتاب مالك بن نبي "مذكرات شاهد القرن-الطفل" في ترجمته العربية بقلم مروان القنواتي قبل أن أهتدي بعد ذلك بسنوات إلى نسخته الفرنسية الأصلية (Bennabi, M, sans date)، كونها كانت أهم قراءاته وهو طالب في معهد قسنطينة "مدرسة الجليس" كما كان يسميها، خرجت مساء، كان المطر قد نزل منذ حوالي ساعة، ومشيت وحيدا في جهة مبنى المركز الجامعي سابقا، ثم اشتريت ماء معدنيا، وزيت زيتون، وحليبا لأمي، وعدت، ويبدو أنني غيّرت ثيابي بسرعة لدى أوبتي للبيت، مما جعل الحمى تصيبني.

الأربعاء 15 أفريل 2020: شرعت في قراءة جديدة لرواية "حي الأميركان" لجبور الدويهي، هي قراءتي الثانية لها، الأولى كانت الشهر الماضي، يعجبني أسلوب هذا الكاتب وطريقته المشهدية في التصوير، تكون عين القارئ مثل كاميرا تماما، وهو ينخرط بكليته في الأحداث، مثل الشاشة ثلاثية الأبعاد 3D، بعدها أحببت أن أعود بالذكريات إلى زمن قراءاتي الأول، فرغبت في إعادة قراءة ذلك الكتاب الذي قرأته قديما رفقة الراحل أحمد بن الصغير وصديقي عبد الحميد وابن خالتي العلاء وآخرين، كتاب أنيس منصور المسمى: "في صالون العقاد كانت لنا أيام".

الجمعة 24 أفريل 2020: اليوم هو أول أيام شهر رمضان المبارك، أستيقظ زوالا بعد أن نمت نوما متقطعا، أشرع في تصحيح "الحركة الثانية" من رواية "حوش النعاس"، وأنوي مساء بأن أعود إلى ترجمة كتاب الراحل الدكتور محمد بن علي، الذي بات طقسا رمضانيا خالصا، أشتغل عليه منذ عامين، وخلال شهر رمضان فقط، سأبدأ من حيث توقفت العام الماضي، متمنيا أن أكمله هذا العام. كما شرعت في قراءة العم نجيب فهي طقس رمضاني أيضا.

السبت 25 أفريل 2020: صححت اليوم مقطعا من الرواية (الحركة الثالثة)، وواصلت القراءة في كتاب أنيس منصور "في صالون العقاد كانت لنا أيام"، كما قرأت من رواية "خان الخليلي" للعم نجيب محفوظ، في الليل أرقت فشاهدت مسلسل "طائر الأحلام" بأكمله (11 حلقة) بطولة نور شريف وصفاء أبو السعود.

الأحد 26 أفريل 2020: شرعت في تصحيح الحركة الأولى من الرواية، وقد بدأت الحياة تدب تدريجيا في الأحياء، بعد أمر الحكومة لبعض المحلات أن تفتح أبوابها أمام الزبائن، مع ضرورة الإبقاء على الإجراءات الوقائية، ومن بين المحلاّت المعنية: محلات الحلاقة، وبيع الملابس، ومحلات الأحذية، وذلك لإعادة تحريك العجلة الاقتصادية بالتدريج. قرأت عن التأويل لمدة ساعة في كتاب عمارة ناصر "اللغة والتأويل"، وقبيل المغرب بحوالي ساعة خرجت لأتمشى كعادتي بمحاذاة الوادي الجميل الذي يحمل لي ذكريات آسرة.

الخميس 30 أفريل 2020: أقرأ "نجمة أغسطس" لصنع الله إبراهيم، فيها شيء متميز ومختلف، إنه صوت الروائي الخاص، تلك الرائحة التي تطالعك من بين الفقرات. أثناء تلك القراءة عبرتني بعض الأفكار السوسيولوجية، لقد انتبهت إلى أن مثلث شارل ساندرس بيرس الموسوم بـــ: التمثيل- التواصل- الدلالة، بإمكانه أن يؤطر تحليلا عميقا لوباء الكوفيد 19 الذي نعاني منه هذه الأيام، ففي جهة "التمثيل" يمكننا الحديث عن تاريخ هذا المرض منذ ظهوره في مدينة "يوهان" الصينية إلى اليوم، أما في جهة "التواصل" فبإمكاننا التطرق إلى تلك الهشاشة التي كشف عنها الكوفيد 19، وإلى تلك الخلخلة التي أصابت المجتمع، وأعادت إلى السطح استفهامات كانت متوارية حول مفهوم "السلطة"، ومفاهيم "الرابط الاجتماعي"، و"العلاقات الاجتماعية"، وأنتج مفاهيم جديدة كالتباعد الاجتماعي.

أما في جهة "الدلالة"، فبالإمكان الحديث عن الممارسات والطقوس المتجلية في المجتمع، مثل: ارتداء الكمامة، عدم المصافحة، مسافة الأمان، الحجر الصحي داخل البيوت، النداءات المتكررة للوقاية والحذر. هذا التحليل السيميوطيقي بإمكانه أن يساعدنا في فهم هذه الظاهرة أكثر، وبإمكانه أن يكون إطارا نظريا للعديد من التحليلات العلمية السوسيو-ثقافية.

الإثنين 11 ماي 2020: اليوم أنهيت ترجمة كتاب الدكتور محمد بن علي –رحمه الله- لم يبق لي سوى نقله من الدفتر إلى الكومبيوتر، وبعد ذلك سأرسل النسخة لأحد أساتذتي الكرام الذين عرفوا الراحل عن قرب، لكي يكتب لي تقديما، ثم أطبعه على حسابي الخاص إكراما لأستاذي الراحل. لقد كنت منتشيا جدا لأني أديت هذا الواجب تجاه أستاذ مميّز جدا في علم الاجتماع، كنت أفكر فيه وفي أيامه وساعات درسه، وتشجيعه لنا عن السؤال حتى مرت بخاطري فقرة كتبتها في مقالي عن التمثلات الاجتماعية للشيخ النعاس وكان مقالا باللغة الفرنسية مفادها:

"La théorie de J. C. Abric, nous oblige à distinguer le noyau central, des éléments périphériques dans le discours des mythes, et on peut dire que c’est le récit de la karama, qui est un récit central dans toute construction des mécanismes de domination" (Homida, 2020, p328).

تمنيت لحظتها لو أن أستاذي قرأها، وناقشني فيها، فقد خيّل إليّ أنها تحاول تحليل "خطاب الأساطير" بواسطة مقاربة جان كلود آبريك.

الأحد 24 ماي 2020: اليوم عيد الفطر، لم أخرج من البيت، منعوا خروج السيارات، وقرروا الحجر ابتداء من الواحدة زوالا إلى غاية السابعة صباحا من يوم الغد، والأمر سيان بالنسبة ليوم الغد، نظرية المؤامرة تطفو على السطح من جديد، وبحدّة.

لكم أتمنى أن ينبري أساتذة وكتاب ومثقفون وباحثون سوسيولوجيون إلى تدوين يومياتهم.

الجمعة 29 ماي 2020: زرت المقبرة المجحودة، وجلست طويلا عند قبر الشيخ عطية بقة –رحمه الله- (1920- 2008)، تذكرت وأنا أنظر إلى تاريخ ميلاده سنة التيفيس لقد مرّ قرن على ذلك الوباء وها نحن في 2020 بعد قرن كامل نعيش وباء مشابها، جهة ضحايا الوباء الحالي في المقبرة والمتواجدة في الجهة الجنوبية الشرقية منها وبالضبط بالقرب من السور ومن قبر جدي، تجعل حضور هذا الوباء أكثر وطأة على

النفس وعلى المخيال، وتملأ الجو برائحة الموت وبقتامة الهلاك، أنفض أنفاسي منها بسرعة وأنا أتجه نحو قبة سيدي علي بن دنيدينة رجل آخر حارب الوباء سنة 1920 وساعد المرضى وعالجهم بكل تفان وإخلاص، هناك وجدت الزهدي مفتاح وصديقي ناجي جالسين عند الظل الجدار الشمالي للقبة وهما بصدد حديث ممتع ومتفرق حول الصالحين وأيضا حول الوباء.

3- بمثابة خاتمة:

لقد استعرضنا بعض الأحداث في زمن الكورونا، كما شهد بها مثقف جزائري، وعاشها في مدينة داخلية، لقد ركّز على أشياء وأهمل أخرى وذلك وفق تمثله لمعيشه اليومي، ووفق رؤيته للعالم، وبالتأكيد أن تدوين هذه اللحظات، حتى تلك التي تبدو ساذجة وسطحية وعادية، مهم وسيهم باحثين في مختلف التخصصات في مستقبل الأيام.

هذا وإن مثل هذا التدوين هو تحريض للباحثين والمثقفين والمواطنين العاديين على الانتباه لما عايشوه ويعايشونه خلال فترة الوباء، لأن تدوينهم سيكون مهما جدا ومفيدا للباحثين، وجدير بالذكر أنه وخلال هذه الفترة ظهرت كتابات تحاول فهم ما حدث، لكننا لم تطبع في حينها، مثلما لم يصدر مقالنا هذا في حينه، وقد تمكنا من الإطلاع على بعضها، مما جعلنا ندرك أن بعض الباحثين فكّروا في نفس الوقت فيما كنا بصدد التفكير فيه، ونذكر منها ما يلي:

كتاب الأستاذ التونسي ماهر حنين الموسوم بـــ"سوسيولوجيا الهامش في زمن الكورونا، الخوف، الهشاشة، الانتظارات، الصادر عن المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية FTDES سنة 2020م، وكتاب أستاذ السوسيولوجيا في جامعة بسكرة الأستاذ عبدالعالي دبلة الموسوم بـــ"سوسيولوجيا كوفيد 19 عندما يفقد العالم توازنه، والصادر عن دار النشر الجامعي الجديد بتلمسان عام 2021.

المراجع:

أ- الكتب:

1- Agota Kristof: *L'Analphabète, récit autobiographique*, Editions ZOE, Paris, 2004.
2- Malek Bennabi: *Mémoires d'un témoin de siècle*, Editions Nationales Algérienne, Alger, sans date.
3- Milan Kundera*: L'immortalité*, traduit par: Eva Bloch, Edition Gallimard, folio, Paris, 1990.
4- Milan Kundera: *La lenteur*, Edition Gallimard, folio, Paris, 1995.

ب- المقالات:

1- Abdelkder Homida: Les représentations sociales du Mejdoub dans la société locale, *Afak for science Journal*, Univesité Ziane Achour, Djelfa, volume 05, N02, 2020.